الهدية الثمينة

فيما يحفظ به المرء دينه

بقلم

الأستاذ عبد الله السليمان بن حميد

غفر الله له ولوالديه ولمشائخه وإخوانه المسلمين آمين

طبعت على نفقة المحسن الكريم

عبد الله بن سند اليوسف

الطبعة الثانيــــة

١٣٧٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) ، والصلاة والسلام على نبيه محمد المجاهد للمنافقين والمشركين بسيف الحق البتار ، وعلى آله وأصحابه المهاجرين منهم والأنصار ، الذين نعتهم الله بأنهم رحماء بينهم أشداء على الكفار ، وعلى من اتبعهم بإحسان ومن على هذا الدين يغار .

أما بعد: فاعلموا رحمني الله وإياكم أن أكثر الناس في هذا الزمان نبذوا كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وراءهم ظهريا ، وزهدوا فيما فيهما من العلم النافع والعمل به حتى صار الإسلام في هذا الوقت إلى ما إليه صار ، وذلك لالتفات غالب الخلق لأمر الدنيا وإصلاحها ولو بفساد الدين وذهابه ، ونسوا دينهم الصحيح المقرر بكتاب الله وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ، فعميت البصائر واستحكمت غربة الدين ، وعمت الفتن وانتشرت ، حتى اجتمع الصالح بالفاسد ، والفاسق بالعابد ، واختلط الحابل بالنابل ، وخالط المسلمون الكفار والمشركين ، والرفضة والملحدين ، وكانوا عندهم خداما ، ولهم عمالا ، ومنهم متعلمين ، وفي التجارة وسائر المعاملات معاملين ، وفي شركاتهم مشتركين ، وبمجالسهم مستأنسين ، ولطعامهم وشرابهم آكلين

شاربين ، ولهم مؤانسين . وحصل بهذا الاختلاط فساد الاعتقاد وفساد الأخلاق ، وظهر الإلحاد والتكذيب فى تعاليم الدين ، وانتشر هذا الداء إلى المقيمين بأوطانهم من بادية وحاضرة بتلقى أولادهم وأقربائهم المتلبسين بالمشركين الموالين لهم بإكرامهم وتحسين أعمالهم ، والذب عنهم .

والحامل على هذا للجميع الجهل بدين الإسلام ومحبة الدنيا ، والافتتان بها وتقديمها على ما يرضى الله ، ونسوا أن الرزق والأجل قرينان ، فما دام الأجل باقياً فالرزق جاريا (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

فى حديث : «إذا عظمت أمتى الدنيا ، نزعت منها هيبة الإسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، حرمت بركة الوحى ، وإذا تسابت سقطت من عين الله » . وقال ﷺ : «صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ، وهلاك آخرها بالبخل والأمل » . وقال : « يأتين على الناس زمان لا يبالى المرء ما أخذ من الحلال أم من الحرام » رواه البخارى . أوحى الله إلى داود عليه السلام : « يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات ، فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة ، وإن أهون ما أصنع بالعبد من

عبيدى إذا آثر شهوة من شهواته أن أحرمه من طاعتى » ، والله يقول : (فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق) (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب) (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً) (بل تؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير وأبقى) .

والآيات والأحاديث فى ذم الدنيا والمشتغلين بها أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ، ومع هذا فقد تحكم حبها فى القلوب ، وحصل بسببها ما يسخط علام الغيوب .

أيها المسلمون : الدنيا لا تدوم نعمتها ولا يستمر خيرها ، بل هى مجمع الآفات ومستودع المصائب ، لا يركن إليها إلا مغرور ، ولا ينخدع بها إلا مفتون . أما المؤمن الحقيقى فهى مطيته إلى الآخرة إن أتته سراء شكر الله عليها ، وإن أصابته ضراء صبر لها ، يأمر بالمعروف ويسارع إليه ، وينهى عن المنكر ولا يقربه ، لا يداهن العصاة والفاسقين ، ولا يجامل الرؤساء والأعيان بما يسخط الله .

عباد الله : ليست المصيبة أن يصاب الإنسان بنفسه أو ماله أو ولده ، إنما المصيبة العظيمة والكسر الذى لا ينجبر أن يصاب

الإنسان بدينه ، فيحل الشك محل اليقين ، فيرى الباطل حقا والحق باطلا ، والمعروف منكراً والمنكر معروفا .

أيها المسلمون : لا يفتننكم الذين كفروا عن دينكم بعرض من الدنيا فتصبحوا خاسرين . الله الله فى حفظ دينكم والعمل بتعاليمه ، فإنه من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه .

أيها المسلمون : ليس الإسلام مقصوراً على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، ولكنه ذلك والكف عن محارم الله ، ومحبة أولياء الله ، ومعاداة أعداء الله والبعد عنهم ، وإنكار ماهم عليه وعدم مخالطتهم ومشابهتهم وتقليدهم ، إلى غير ذلك من حقوق الإسلام وشروطه ولوازمه . ليس الإيمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن هو ما وقر فى القلوب وصدقته الأعمال . أكثر الناس يقولون آمنا بالله وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ، فى قلوبهم مرض بحب الشهوات وأكل الحرام ، إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم ، لكنهم عن الحق معرضون ، ولأهله معادون مبغضون ، ولأعداء الله محبون موالون .

والحقيقة أن من خالف أمر القرآن ونهيه لم يؤمن به شاء أم أبى ، ومن لم يتبع شريعة محمد ﷺ لم يصدقه شاء أم أبى ، لا تقبل دعوى

بلا حقيقة ، ولا قول بلا عمل . والمصيبة العظيمة أن حرمات الله قد انتهكت والفسوق قد انتشر بين المسلمين ويحاول إخوان الشياطين أن يقضوا على بقية الدين ، ولا أحد ينكر أو يغار أو يحزن لما يرى ويسمع من الأشرار وينتحب على موت السنن وظهور البدع ، ولا شك أن هذا علامة موت القلوب .

رحم الله ابن عقيل حيث يقول فى زمانه : من عجيب ما نقدت من أحوال الناس كثرة ما ناحوا على خراب الديار وموت الأقارب والأسلاف ، والتحسر على الأرزاق ، وذم الزمن وأهله ، وذكر نكد العيش فيه ، وقد رأوا من انهدام الإسلام وتشعث الأديان وموت السنن وظهور البدع وارتكاب المعاصى وتقضى الأعمار فى الفارغ الذى لا يجدى ، والقبيح الذى يوبق ويؤذى ، فلا أجد منهم من ناح على دينه ، ولا بكى على ما فرط من عمره ، ولا آسى على فائت دهره ، وما أرى لذلك سبباً إلا قلة مبالاتهم بالأديان وعظم الدنيا فى عيونهم ، ضد ما كان عليه السلف الصالح ، يرضون بالبلاغ من الدنيا وينوحون على الدين ، اهـ .

وقال ابن القيم رحمه الله: لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما ، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما ، وعدلوا إلى

الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ ، عرض لهم فى ذلك فساد فى فطرهم ، وظلمة فى قلوبهم ، وكدر فى أفهامهم، ومحق فى عقولهم ، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم، حتى ربا فيها الصغير ، وهرم عليها الكبير، فلم ير منكراً ، فجاءتهم دولة أخرى أقامت فيها البدع مكان السنن ، والنفس مكان العقل ، والهوى مقام الرشد ، والضلال مقام الهدى ، والمنكر مقام المعروف ، والجهل مقام العلم ، والرياء مقام الإخلاص ، والباطل مقام الحق ، والكذب مقام الصدق ، والمداهنة مقام النصيحة ، والظلم مقام العدل ، فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور ، وأهلها هم المشار إليهم ، وكانت قبل ذلك لأضدادها ، وكان أهلها هم المشار إليهم — إلى أن قال رحمهُ الله :

اقشعرت الأرض وأظلمت السماء وظهر الفساد فى البر والبحر من ظلم الفجرة ، وذهبت البركات وقلت الخيرات وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة ، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل من الأعمال الخبيثة والأفعال الفظيعة ، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وغلبة المنكرات والقبائح ، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه ، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه ، فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح ،

ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح ، وكأنكم بالباب وقد أغلق ، وبالجناح وقد علق (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون)

وقال رحمه الله : علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم ، فكلما قالوا للناس هلموا ، قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم ، فلو كان مادعوا إليه حقا لكانوا أول المستجيبين له منهم ، فهم فى الصورة أدلاء ، وفى الحقيقة قطاع الطريق اهـ . فكيف لو رأى ابن القيم رحمه الله هذا الزمان الذى انهدم فيه جانب الحق وترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى غالب الناس ، واختلط الخبيث بالطيب ، وظهر الفاسد وتكلم بملء شدقيه بلا خفية ، وسكت المحق ، فإن تكلم فبينه وبين نفسه ، وانعكست الأمور وتغيرت الأحوال ، وكثر العلم وقل العمل ، وتعلم العلم للدنيا ، واتصف غالب أهله بالعقائد الفاسدة ، والأعمال الخبيثة : إلحاد وزندقة واستهزاء بالسنن وأهلها ، وخلاعة وفجور وزنا ولواط وشرب مسكرات وترك للصلوات ومروق من الدين والآداب العربية بكل الكلمة ، لا خوف من الله ولا حياء من خلقه ، همهم القيل والقال والعكوف على آلات اللهو والشهوات المحرمة ، وأكل أموال الناس بالباطل والربا وأنواع الحيل المحرمة والتفاخر

فى المآكل والملابس ، والمباهاة فى البنيان والأثاث ، وصار الحب للدنيا والبغض لها ، والموالاة فيها والمعاداة عليها ، فهم كما قال كعب الأحبار : والله إنى لأجد صفة المنافقين فى كتاب الله عز وجل : شرابين للقهوات (أى الخمور) ، تراكين للصلوات، لعابين بالكعبات، رقادين عن العتمات[1] ، مفرطين فى الغدوات ، تاركين للجماعات .

ومن صفتهم يقرءون القرآن وهم بين كافر به وفاجر يتأكل به . وفى حديث لأبى سعيد : « ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم » ، وفى حديث آخر : « وأما القرآن فيتعلمه المنافق فيجادل به المؤمنين » ، كما هو الواقع .

فهذه والله صفات غالب أهل زماننا هذا ، ورحم الله ابن القيم حيث قال : الزنادقة قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله ، وهؤلاء هم المنافقون ، وهم فى الدرك الأسفل من النار .

وذكر رحمه الله من صفاتهم ما ينطبق عَلَى غالب أهل هذا الزمان ، فراجعه فى كتابه (طريق الهجرتين وباب السعادتين فى الطبقة الخامسة عشرة) يتبين لك أحوال الناس وما أخلوا به وضيعوه

---

(١) هى العشاء والفجر .

من تعاليم دينهم ، وسنة نبيهم ، وهلاك الأكثرين بانغماسهم فى الشهوات المحرمة ، وموالاتهم لأعداء الله ورسوله ، وتركهم الصلاة التى هى عمود الإسلام ، والذين يصلون منهم يؤخرونها عن أوقاتها .

وتأمل ذلك تجده عاما فى القرى والأمصار والبوادى ، إلا بقايا ممن رسخت فى التوحيد عقائدهم ، واستنارت بالعلم قلوبهم وبصائرهم ، فهم فى سبيل الحق يجاهدون ، وإلى دين الإسلام يدعون ، وعن الشر يحذرون ، وبالأدلة يرشدون ، وعلى الأذى فى الله يصبرون . وهذا مصداق قوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله » لكنهم قليل،وأنا وإن كنت لست من أهل هذا الشأن وقاصر العلم واللسان،لكن لما رأيت ماعم وطم من انقلاب الأكثرين عن دين الإسلام ، وموالاتهم لعبدة الأوثان وأعداء الشريعة من النصارى والملحدين والرافضة ، حملتنى الغيرة الدينية ، والشفقة الإنسانية ، أن أجمع بعض آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، ومن كلام علماء السنة المقتدى بهم ، نبذة يسيرة فى بيان تحريم مخالطة المشركين ووجوب البعد عنهم ، وحكم التولى والموالاة والسفر إلى بلادهم ، وما يجب على من اضطر إلى العمل مع الشركات الأجنبية ، لتكون

تذكرة للمؤمنين ، وحجة على المعاندين ، وسميتها (الهدية الثمينة ، لمن يهمه أمر دينه) ، والله أسأل التوفيق وحسن النية ، وأن يدفع عنا وعن عموم المسلمين كل بلية ورزية ، إنه ولى ذلك والقادر عليه .

فأقول : قال العلماء : إن الله حرم على المؤمنين فى كتابه وعلى لسان نبيه ورسوله محمد ﷺ أن يوالوا المشركين ، ويظهروا لهم المودة ولو بأدنى شىء من أنواع الانبساط ، وتوعدهم بأعظم وعيد ، وزجرهم بأكبر زجر وتهديد ، كما فى الآيات التى تسمعها الآن من كلام الله المحكم المبين . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء) (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ، وبشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ؟ فإن العزة لله جميعاً) (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم بعدم ولايتهم ، وثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان، لأن عدم اللازم يقتضى عدم الملزوم . وقال بعض المحققين : رتب الله على موالاتهم سخطه والخلود فى العذاب ، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن ، وأما أهل الإيمان بالله وكتابه ورسوله ، فإنهم لايوالونهم بل يعادونهم ، كما أخبر الله عن خليله إبراهيم والذين معه . وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ، (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم) الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان) الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء ، تلقون إليهم بالمودة) الآية (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) الآية (ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لايهدى القوم الظالمين) (فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم) الآية (ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون) (يا أيها الذين

آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) ، وقال فى حق نبيه محمد ﷺ : (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا ، إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً)

وقال عن خليله إبراهيم ومن آمن معه : (إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده) ، وقال عنه : (إننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى) ، وقال عنه : (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) .

وقال العلماء فهذه البراءة وهذه الموالاة هى معنى لا إله إلا الله لاشتمالها على إثبات العبادة لله وحده ونفيها عمن سواه ، وهى حقيقة الإسلام ، وهى ملة إبراهيم التى أمرنا باتباعها بقوله : (أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين) .

فهذه أيها المسلمون بعض من آيات الله ظاهرة الدلالة ، بينة الحجة ، واضحة البرهان ، حاكمة بمنطوقها على كل مسلم يوالى الكفار والمشركين واليهود والنصارى ولا ينكر عليهم شركهم ، ويحسن أفعالهم أو يشك فى كفرهم ، أنه كافر ولو عرف التوحيد وعمل

بشرائع الإسلام الظاهرة . ولو تتبعنا أقوال العلماء على هذه الآيات ، لطال الكلام وخرجنا عن مقصود الاختصار .

وأما الأحاديث الواردة في النهى عن مشابهة المشركين والكفار فهى كثيرة معروفة ، منها قوله ﷺ في حديث ابن عمر : « من تشبه بقوم فهو منهم » ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : أقل أحواله « أى هذا الحديث » أن يقتضى تحريم التشبه ، وإن كان ظاهره يقتضى كفر المتشبه بهم .

وقال ابن كثير رحمه الله : وفيه النهى الشديد والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ، ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم وغير ذلك مما لم يشرع لنا ولم نقر عليه .

وقد رأى النبي ﷺ على عبد الله بن عمرو ثوبين معصفرين قال : «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» ، الحديث في مسلم نهى عن لبسها بأنها من ثياب الكفار ، وفى كتاب عمر إلى عتبة بن فرقد : « وإياك وزى أهل الشرك » وهو في الصحيحين . وروى عن حذيفة أنه أتى بيتاً فرأى فيه شيئا من زى الأعاجم ، فخرج وقال: « من تشبه بقوم فهو منهم» . ويروى عن الإمام أحمد أنه دعى إلى وليمة عرس فنظر إلى كرسي في الدار عليه فضة ، فخرج ، فلحقه

صاحب الدار ، فنفض يده فى وجهه فقال : زى المجوس زى المجوس .

وقال عمرو : لا تعلموا رطانة الأعاجم إلى آخر ما قال رحمه الله .

وقد كتب عمرو إلى المسلمين المقيمين فى بلاد فارس : إياكم وزى أهل الشرك ، وما ورد فى ذلك أكثر من أن يحصر . ولم يحذر الله عن مشابهتهم إلا لقطع المودة بينهم و بين المسلمين .

وقال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى : (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) ، قال الركون هو الميل فى المحبة ولين الكلام . وقال إن من الركون إلى الكفار أن تبرى لهم قلما .

وقال عكرمة : أن تطيعوهم أو تودوهم أو تولوهم الأعمال ، كمن يولى الفساق والفجار . وقال الثورى : من لاث لهم دواة أو برى لهم قلما أو ناولهم قرطاساً دخل فى هذا . يعنى فى الوعيد .

وقال بعض المفسرين : فيها النهى عن اتباع أهوائهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيى بزيهم ، ومد العين إلى زهرتهم ، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم : وتأمل قوله تعالى (ولا تركنوا) والركون هو الميل اليسير ، فكيف بمن جالس الكافرين وآكلهم وألان لهم الكلام ؟

ويذكر عن عيسى عليه السلام أنه قال : تحببوا إلى الله ببغض

أهل المعاصى ، وتقربوا إليه بالبعد عنهم ، واطلبوا رضوان الله بسخطهم ، فإذا كان هذا مع أهل المعاصى ، فكيف بالمشركين والكافرين والمنافقين والملحدين . وفى الحديث : « يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » وفيه « المرء مع من أحب يوم القيامة » وفى حديث «لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم» .

ومما تقدم من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء ، يتبين أنه يجب على المؤمنين إظهار العداوة للكفار والمشركين والبراءة منهم والبعد عنهم ، وأن ذلك هو حقيقة الإسلام .

ويتبين أن المسلم إذا والى المشركين وأطاعهم ، ووافقهم على رغبتهم لأجل مال أو غيره من غير إكراه أنه كافر،ولو كان يعرف كفرهم ويبغضهم .

وقد جاء الأمر بمجاهدة الكفار والمشركين والغلظة عليهم فى غير موضع من كتاب الله ، بل جاء الأمر بالإنكار على المجاهر بالمعاصى ولو كان مسلما ، فكيف بمن يوالى المشركين ويحبهم ويرى سبيلهم أهدى من المسلمين ؟

فيجب على المسلم معرفة أمور من فعلها دخل فى الوعيد ؛ وتعرض لمسيس النار « التولى العام ، الركون القليل ، مداهنة

الكفار ومداراتهم ، طاعتهم فيما يقولون ويشيرون . تقريبهم في الجلوس وتقديمهم في الدخول على أمراء الإسلام . مشاورتهم في الأمور . استعمالهم في الوظائف . اتخاذهم بطانة . مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم . البشاشة لهم والطلاقة . الإكرام العام . استئمانهم وقد خونهم الله . معاونتهم في أمورهم ولو بأدنى شيء . مناصحتهم . اتباع أهوائهم مصاحبتهم ومعاشرتهم . الرضا بأعمالهم . التشبه بهم والتزيي بزيهم . ذكر ما فيه تعظيمهم كتسميتهم سادات وحكام وحكماء والسكنى معهم في ديارهم .

إذا تبين هذا فلا فرق بين أن يفعل ذلك مع أقربائه منهم أو مع غيرهم ، ولا تجتمع محبة الله ومحبة أعدائه في قلب مسلم . قال ابن القيم :

أتحب أعداء الحبيب وتدعى　　حباً له ما ذاك في إمكان

إذا فهمت ما تقدم، تبين لك انحراف كثير من أهالي هذا الزمان عن الدين وردتهم الصريحة لمبادرتهم إلى موالاة المشركين ومحبتهم وتحسين أعمالهم ، مع تركهم الواجبات ، وانتهاكهم المحرمات .

فيجب ويتعين على كل مسلم ناصح لنفسه أن يعرف ما قرره العلماء رحمهم الله من الفرق بين التولي والموالاة .

قالوا رحمهم الله : الموالاة مثل لين الكلام ، وإظهار شيء من

البشاشة أو لياثة الدواة وما أشبه ذلك من الأمور اليسيرة مع إظهار البراءة منهم ومن دينهم وعلمهم بذلك منه ، فهذا مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب وهو على خطر : وأما التولى فهو إكرامهم والثناء عليهم والنصرة والمعاونة لهم على المسلمين والمعاشرة وعدم البراءة منهم ظاهراً ، فهذا ردة من فاعله يجب أن تجرى عليه أحكام المرتدين ، كما يدل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأمة المقتدى بهم .

ومن كلام العلامة القصيم محمد بن عبد الله بن سليم فى هذا المعنى ، قال رحمه الله :

النوع الأول : أن يودهم ويود ما هم عليه من الكفر ، ويطمئن إلى ذلك ويرضى به ، فهذا كفر بلا ريب

النوع الثانى : أن يودهم لغرض دنيوى مع كراهته لما هم عليه وتضليلهم ، فهذا قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب متعرض للوعيد :

وأما السفر إلى بلاد المشركين والإقامة عندهم ، فقد قال ﷺ : أنا برىء من كل مسلم يقيم بين ظهرانى المشركين ، لا تراءى ناراهما[1] .

---

(١) لهذا يجب علينا ألا نرسل أبناءنا وهم صغار إلى بلاد الكفار للتعلم لأن النشء إذا شب بينهم لا بد أن يتخلق بأخلاقهم . والأوفق بالمسلمين إن أرادوا تعليم أولادهم بعض العلوم الحديثة كالميكانيكا والهندسة أن يفتحوا المدارس فى بلادهم ويجلبوا لها هؤلاء المهندسين . وبهذا يمكن حفظ أخلاق النشء ودينهم .

وعن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : من جامع المشرك أو سكن معه فإنه مثله : وأخذ النبي ﷺ على بعض أصحابه أن لاتراء نارك نار المشركين إلا أن تكون حرباً لهم .

وقد عاتب الله المسلمين الذين تخلفوا عن الهجرة بقوله :

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) الآية ، قيل : لما نزلت هذه الآية كتب بها إلى من بمكة من المسلمين أنه لاعذر لهم بالإقامة فخرجوا . وهذه الآية عامة فى كل من أقام بين ظهرانى المشركين وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو ظالم لنفسه مرتكب حراما . قال القرطبى ، فى شرح مسلم : ولا يختلف فى أنه لا يحل لمسلم المقام فى بلاد الكفر مع التمكن من الخروج منها لجريان أحكام الكفر عليه ولخوف الفتنة على نفسه ، وهذا حكم ثابت مؤبد إلى يوم القيامة .

وعلى هذا فلا يجوز لمسلم دخول بلاد الكفر لتجارة ولاغيرها مما لا يكون ضروريا فى الدين كرسل وفكاك الأسير المسلم : وقد أبطل الإمام مالك رحمه الله شهادة من دخل بلاد الهند للتجارة . انتهى .

وقال الشيخ سليمان بن سحمان : واجب على كل مسلم عداوة الكفار والمشركين وبغضهم وهجرهم ومفارقتهم بالقلب واللسان والبدن (إلى أن قال) : فتبين أن اظهار الدين هو التصريح بالعداوة

والبغضاء ، وأن قول من أعمى الله بصيرة قلبه إن أظهار الدين كون الـكفار لا يمنعون أحداً من الصلاة ولا من الحج والأذان ، قول باطل مردود شرعا وعقلا .

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله : فمن أعظم الواجبات على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه من الأشخاص كالملائـكة وصالحى بنى آدم وموالاتهم وبغض ما يبغضه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، وبغض من فعل ذلك .

فإن رسخ هذا الأصل فى قلب المؤمن لم يطمئن إلى عدو الله ولم يجالسه أو يلفت النظر إليه : فلما ضعف هذا الأصل فى قلوب كثير من الناس واضمحل صار حال كثير منهم مع أعداء الله كحاله مع أوليائه ، يلقى كلا بوجه طلق ، وصارت بلاد الحرب عنده كبلاد الإسلام ، ولم يخش غضب الله الذى لا تطيقه الأرض والسموات والجبال الراسيات ، ولما عظمت فتنة الدنيا فى صدور كثير من الناس وصارت أكبر همهم ومبلغ علمهم ، حملهم ذلك على التماسها ولو بوجه يسخط الله ، فسافروا إلى أعداء الله فى بلادهم وخالطوهم فى أوطانهم ، ولبس الشيطان عليهم أمر دينهم ، فنسوا عهد الله الذى أخذه عليهم فى مثل قوله : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) إلى آخر ما قال رحمه الله .

ومن كلام لبعض المحققين ، قالوا رحمهم الله : يحرم السفر إلى بلاد المشركين للتجارة ، إلا أن يكون المسلم قويا له منعة يقدر على إظهار دينه وتكفيرهم وعيب دينهم والطعن عليهم والبراءة منهم والتحفظ من مودتهم والركون إليهم ، وليس فعل الصلاة فقط إظهار الدين ، وقول القائل إنا نعتزلهم فى الصلاة ولا نأكل ذبيحتهم ، لا يكفى فى إظهار الدين ، بل لا بد مما ذكر .

قلت : هو كما تقدم أن يتبرأ من المشركين والكفار وأن يصرح لهم بأنهم كفار وأنه عدو لهم ويعلمون ذلك منه ، فإن لم يحصل ذلك ، لم يكن مظهراً للدين ، وقول بعضهم إنهم : لا ينكرون علينا ، قول فاسد ، فالكلام على من يظن به الخير ممن يخالطهم يخاف عليه إن سلم من الردة أن لا يسلم من الكبيرة الموبقة . وأما من يظن به مودة الكافرين وموالاتهم أو يرى دينهم أهدى سبيلا من المؤمنين كحال أكثر الناس اليوم ، فهذا مرتد عن دينه باجماع المسلمين .
وقال بعض العلماء رحمهم الله : اعلموا أن المعاصى أنواع بعضها أكبر من بعض ، فأعظمها الشرك بالله فى عبادته — إلى أن قال : وهذا الذنب له وسائل وذرائع توصل إليه ، فأعظمها موالاة أعداء الله على اختلاف أنواعها . وقد أصبح أهل هذا الزمان فى غفلة عنها ،

وأكثرهم يواليهم أو يوالى من يواليهم . يقرءون القرآن وفيه تحريم موالاتهم ونفى الإيمان عمن يفعل ذلك — إلى أن قال : وأكثر الناس لا يفرق بين الإسلام وضده فيؤمن ببعض ويكفر ببعض ، ومن كفر ببعض كمن كفر بالكل .

وقال بعضهم : أصل الموالاة هو الحب والنصرة والصداقة ، ودون ذلك مراتب متعددة ، ولكل ذنب من الوعيد والذم ما هو معروف . ونواقض الإسلام تقارب أربعمائة ناقض كما هو معروف فى مصنفات العلماء . والمجمع عليه منها عشرة

الثالث « من العشرة » : من لم يكفر المشركين ، أو شك فى كفرهم،أو صحح مذهبهم واستحسنه ، كفر . والثامن منها : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين لقوله تعالى : (ومن يتولهم منكم فإنه منهم)، وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى لنبيه ﷺ :(فأعرض عنهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً) ، أمر الله نبيه بالإعراض عن المنافقين وإغلاظ القول عليهم ، ولا يلقاهم بوجه طلق بل يلقاهم بوجه عابس مكفهر متغير من الغيظ .

فإذا كان هذا مع المنافقين الذين هم بين أظهر المسلمين يصلون ويصومون ويحجون ويجاهدون ، فكيف بمن سافر إلى المشركين وأقام بين أظهرهم أياماً وليالى .

قلت : بل أشهرًا وسنين مطمئنا ، مستأذنا عليهم فى بيوتهم ، متعلما منهم ، مكثراً لهم التحية ، ملينا لهم الكلام ، وليس له عذر إلا طلب العاجلة ، ولم يجعل الله الدنيا عذراً لمن اعتذر بها ، كما نبه الله على ذلك فى كتابه . وفى حديث طويل قال : « لا يحملنكم الشيطان باستبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصى الله ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته » . ولما نهى الله أن يقرب المشركون المسجد الحرام قال : (فإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله) ، فلم يعذر الله بالفقر والفاقة والحاجة إلى ما فى أيدى الكفار ، وأخبر أنه هو الرزاق ذو القوة المتين ، وغاية ما عند الموالين الاعتذار بالحاجة وما كان ذلك عذراً صحيحاً ، كما بين الله فى كتابه ، وعلى لسان رسوله .

فياحسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ونشأوا فيه ودانوا به زماناً ، كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين إلى ولاية المشركين والنصارى والملحدين ورضوا بها (بئس للظالمين بدلا) . (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أُنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ، ولكن كثيراً منهم فاسقون) . (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) ، فالله الله ، عباد الله . انتبهوا من هذه البلية العظيمة التى صيرت أهل

الإسلام والضلال جماعة واحدة . ويجب على من نور الله بصيرته إذا عرف إنساناً من أقاربه وجماعته بهذا الأمر أن ينصحه ويدعوه إلى الله سبحانه ويعرفه قبح ما ارتكبه ، فإن تاب وأناب فهذا هو المطلوب ، وإن أصر وعاند فيعاديه ويبتعد عنه ، ولكل فاسق حكم ما ارتكبه . ومن أراد الله فتنته وضلاله ، فلن تجد له ولياً مرشدا (إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) . ومن أراد الوقوف على هـذه المباحث القيمة بأدلتها ، فليطالع (اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ورسالة حكم موالاة أهل الإشراك ، ورسالة بيان النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك ، فانه يجد ما يكفي ويشفي . والله ولي التوفيق والهادي لأقوم طريق .

اعلموا أيها المسلمون أن العمل مع الشركات الأجنبية من أعظم الخطر على العمال المسلمين ، لما يحصل من تغيير العقائد وفساد الأخلاق وانتشار الفوضى ونقض عروة الإسلام ، وقد فاهوا من الآن بسب الخير وأهله وبغضهم واستنكار السنن وخالفوها علناً ، ومالوا إلى

الدنيا وزخارفها ، وأضاعوا الصلاة ، واتبعوا الشهوات ، وضلوا وأضلوا إلا القليل منهم .

وإن العمال الموجودين الآن عند الشركات الأجنبية على قسمين:

الأول — المستخدمين فى بيوتهم ومكاتبهم وأشغالهم الخاصة المحبوسين تحت أوامرهم وسيطرتهم خاضعين لهم ذليلين حقيرين يتصرفون فيهم كيف شاءوا ، ومع ذلك هم تاركين لكثير من الواجبات ، فاعلين لكثير من المحرمات ، لا يفرقون بين الحق والباطل ، ولا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، ولا من شهادة (أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) إلا لفظها ، فهؤلاء مثلهم ومن شك فى ردتهم عن الإسلام ، فهو لم يعرف الدين الصحيح ، ولم يشم رائحة العلم النافع : ومثل هذه الخدمة محرمة بنص الكتاب والسنة وإجماع الأئمة .

القسم الثانى — الأجراء على أعمال معينة : كبناء البيوت ، وحفر الآبار ، وإصلاح السكك ، وما أشبه ذلك فى أجور معينة يومية أو شهرية: فمثل هذه الإجارة جائزة ، مع الضرورة ، بشرط بُعدهم عنهم ، وعدم الخضوع والاستذلال لهم ، والقيام بواجبات الإسلام وأدائها على الوجه المشروع .

إذا فهمتم ما تقدم من استحكام غربة الدين وانتهاك الحرمات وانتشار الفسوق والعقائد الفاسدة والفرق بين التولى والموالاة وحكم السفر إلى بلاد المشركين وبيان كيفية إظهار الدين والفرق بين الخدمة عند المشركين والإجارة معهم :

فواجب عليكم أن تتعلموا الدين الصحيح لتعملوا به وتعرفوا أهله فتوالوهم وتحبوهم ، وتعرفوا الشر لتجتنبوه واتعرفوا أهله فتبغضوهم وتعادوهم وتبتعدوا عنهم ولو كانوا آباءكم أو أبناءكم أو إخوانكم ؛ ولا تكونوا كالأنعام يقودكم الشيطان إلى الآثام ويتحكم الكفرة فيكم بما شاءوا حتى يخرجوكم من دينكم وأنتم لا تشعرون .

قفوا عند حدود الله وقوموا بفرائض الله ، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ، يا من يهمهم أمر دينهم : نصيحتى لكم بالبعد عن المشركين والمنافقين والفاسقين . قال الله لنبيه : (وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم) .

إن مرافقة الأشرار عار وهلاك ، إنكم فى زمان شره كثير وخيره قليل . ابتعدوا عن قرناء السوء ، فإنكم إن لم تشاركوهم فى عملهم

أخذتم بنصيب من الرضى عنهم والسكوت عن الإنكار عليهم، فتكونوا أنتم وإياهم فى الإثم سواء، ومن أعان على معصية ولو بشطر كلمة، كان شريكا فيها، والساكت عن المعصية يقع فى معصيتين: (السكوت على الباطل ومرافقة أهله)، وخير لكم البعد عنهم (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)، ولو أخذ الإنسان حبله وجاء بحزمة حطب أو كان حمالا أو محترفاً بقريته، خير له من الدخول والعمل فى هذه الشركات الأجنبية.

ومن المصيبة أن أكثر العمال اليوم تهاونوا بالدين وضيعوا الصلاة التى هى عمود الإسلام، ولا دين لمن لاصلاة له، وإذا ضاعت الصلاة لم يبق دين ولا إسلام، فالصلاة فرض لازم لاتسقط بحال مادام العقل موجوداً، وهى فرض عين على الحر والعبد والذكر والأنثى والحاضر والمسافر والصحيح والسقيم والغنى والفقير.

وتارك الصلاة كافر، لاحظ له فى الإسلام. بعيد عن كل خير، قريب من كل شر، تقرر كفره بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وإجماع علماء الأئمة المقتدى بهم، ولا نطيل بذكر الأدلة لأنها معروفةَ، والذين يصلون منهم غالبهم يؤخرونها عن أوقاتها ولا يؤدون الواجب فيها. قال الله فى حقهم: (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا

الصلاة واتبعوا الشهوات) ، فالإضاعة تأخيرها عن وقتها . قال تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) ، وقال النبي ﷺ : « هم الذين يؤخرون الصلاة عن أوقاتها » ، فمن يؤخر الصلاة عن وقتها فهو سفيه معرض عن الله قد أضله الهوى والشيطان وأغواه ، لا دين له ينهاه عن سيئات الذنوب ، ولا حياء له يردعه عن العيوب ، فمثل هذا ليس له عدالة ، ولا يقبل له قول شهادة . يجب على المسلمين هجره والبعد عنه حتى يتوب .

* * *

ومثل هؤلاء الذين يتعلمون فى مدارس الإفرنج : فان التلميذ على عقيدة أستاذه ودينه وأخلاقه ، فهم أضر شىء على المجتمع الإسلامى ، ولا يغتر بهم إلا جاهل ، فإن أعداء الله ورسوله قد علموا أن أعظم مايبطل إلحادهم دين الإسلام ، فنحوا الدين عن المتعلمين وأبعدوه عن مدارسهم بالكلية ، أو يجعلون التعليم فى الدين شيئاً ضعيفاً اسماً بلا مسمى .

* * *

وهذه العلوم العصرية[1] هى مبادىء الالحاد ومقدماته ، ولهذا ترى النشء الجديد المتعلم فى مدارس الشركات لا قدر للدين عندهم ، ولا بصيرة لهم فيه لضعف تعاليمه عندهم . ومتى ضعفت البصيرة فى الدين والقلوب وتعلقت بغيره ، انهارت الأديان والأخلاق كما هو مشاهد ، وهذا النشء المتعلم فى مدارس الشركات فى الداخل أو الخارج ، وبعض العمال هم أكبر سلاح على أمتهم فى إفساد الأخلاق والأديان فلا يغتر بهم .

أيها المسلمون : العزة لله ولرسوله وللمؤمنين (ولا تهنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) لا تذلوا أنفسكم لأعداء الله ، ولا تبيعوا دينكم بعرض من الدنيا .

هل من سامع للنصيحة ؟ هل من مطيع لأوامر الله ورسوله ؟

هل من منته عما نهى الله ورسوله عنه؟ فيسعد فى الدنيا والآخرة ،

فإن اضطررتم أيها المسلمون إلى العمل بالأجرة فى معامل هذه

---

(١) يعنى بالعلوم العصرية التى تؤدى إلى الإلحاد وتعليم التمثيل والأغانى والألحان . وتعليم الغيب بالنجوم والكواكب ، وعلوم الفلسفة . أما العلوم الأخرى كعلم طبقات الأرض ، التى بها يستطيع الإنسان معرفة ما خبأ الله لعبده من كنوز وعلوم الطب والهندسة وغيرها التى تفيد المجتمع وتقوى الأمم ، فهى من العلوم التى يأتى الله بها المسلمين ليكونوا أقوياء أعزاء (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) كى يرهبوا أعداء الدين — أما ما نراه على النشء الذين يتعلمون فى مدارس الكفار من التحلل من الدين فهو لما ينفثونهم من سموم الإلحاد والبعد عن الدين الحق .

الشركات الأجنبية ، وبليتم بمخالطة هؤلاء الأجناس الأرجاس الذين لا دين لهم مستقيم ولا أخلاق شريفة ، فإن حكومتكم أيدها الله ، قد أخذت لكم الحقوق منهم تامة ، ورفعت لكم الأجور ، وحفظت لكم المصالح ، وميزتكم عمن سواكم لشرف الإسلام : فعليكم بتقوى الله سبحانه وتعالى ، والقيام بواجبات الإسلام والعمل بتعاليمه ، وأعظمها بعد الشهادتين الصلاة فى أوقاتها جماعة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لجماعتكم المسلمين ، وأداء النصيحة لهم ، والبعد عمن أخل بدينه منهم .

اهجروهم . لا تؤاكلوهم ، ولا تشاربوهم ، ولا تجالسوهم ، واحذروا منهم ، وبينوا حالهم ليعاملوا بما يستحقونه ، ولا تخضعوا للكافرين ، ولا تبدءوهم بالسلام ، ولا تعظموهم فى شىء من الأمور ، وأظهروا لهم البغضاء والعداوة ، وأدوا الأمانة لمن ائتمنكم ، ولا تخونوا من خانكم ، وخذوا ما لكم من الحقوق وأدوا ما عليكم منها ، ولا تطيعوا فى معصية الله أحدًا أبدًا كائنًا من كان ، « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ، لا تبدءوهم بالسلام ، ولا تقوموا لهم ، وإذا لقوكم فى طريق فاضطروهم إلى أضيقه . ولا تقلدوهم فى شىء من أمورهم وأفعالهم ، خالفوا اليهود ، يقول نبيكم ﷺ :

« من تشبه بقوم فهو منهم » واحذروا شرب شيء من المسكرات ، واستماع الغناء وآلات اللهو : كالسينما ، والصندوق ، والربابة ، والسمسمية ، والمزامير ، سواء أكانت من الراديو أو غيره .

وبالجملة : فيجب عليكم الاحتراز التام والتحفظ من كل ما يخل بالدين والمروءة (والحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام ، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه) . (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) . (من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد) .

اللهم اهدنا صراطك المستقيم ، واختم لنا بالسعادة يا كريم ، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

الفهرست